د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ديوان

هي أُمِّي

العبيكان
Obeikan

ديوان

هي أمي

شعر

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

العبيكان
Obeikan

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن بن صالح

ديوان هي أمي./ عبدالرحمن بن صالح العشماوي . - الرياض، ١٤٢٨هـ

٤٧ص: ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٤-٢٢٥-٥٤-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية

أ- العنوان

ديوي ٩٥٣١، ٨١١ ١٥٥٧ /١٤٢٨

رقم الإيداع: ١٥٥٧ /١٤٢٨

ردمك: ٤-٢٢٥-٥٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـــز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٥٦٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وسادة من طين

هكذا أكرمتُ أمي الحبيبة حينما واريتُها الثَّرى، لقد كنت أحرص على اختيار ألين الوسائد وأنعمها لفراش الحبيبة، ولكنني حين رضيتُ أنْ أتركها هناك في (مقبرة النسيم) وحدَها، اخترت لها وسادة من طين - رحمها الله وغفر لها -.

أرأيتم - أيها الأحبة - كيف تكون نهاية هذه الدنيا الفانية؟

أرأيتم كم هي رحلة قصيرة، في دنيا حقيرة؟

تلك الحفر التي نترك فيها أحبابنا حينما يفارقون هذه الحياة، هي الجديرة - والله - بالعمل الدَّؤوب، والجدِّ والمثابرة في طاعة ربِّ العالمين.

لقد رأيت في (وسادة الطين) التي وضعتها تحت رأس أمي الغالية صورة حقيقية لهذه الدنيا الفانية التي نتعادى من أجلها، ونتفانى في حبها.

وسادة الطين هي وسادة كلِّ إنسان يودِّع الحياة، كبيراً كان أم صغيراً، غنياً كان أم فقيراً، جليلاً كان أم حقيراً.

إشارة

وسادة من طين؟... آهٍ منك يا غفلة الغافلين

أنا وجنح الليل وذكرى الحبيبة

الرياض-الازدهار ١٤٢٨/٥/١٠هـ

ربما يفوز سكون الليل بالجائزة الأولى، ويلبس تاج «ملك جمال الأوقات» لو أجريت مسابقة عالمية لذلك.

سكون الليل، هذه الخيمة المضيئة التي تحتوي الإنسان، وتنشر له أجمل وأزكى أشذاء الهدوء والراحة واليقين.

سكون الليل، هذه الدوحة المتفرِّعة الأغصان، الوارفة الظلال، اليانعة الثمار، التي تمسح عن قلب المستند على جذعها الكبير كل تعب وعناء.

سكون الليل، هذا الميدان الفسيح الجميل الذي تتسابق فيه خيول الذكريات سباقاً ممزوجاً بعزف وقع حوافرها الجميل، وألحان صهيليها الذي يطرب النفوس.

سكون الليل، قلب متوجهٌ إلى الله، ويدان مرفوعتان إليه، وعينان تبحران في آفاق الرجاء والخوف، تقرآن في صفحات الأمل أجمل عبارات السعادة والصفاء.

سكون الليل، أبحرت فيه ذات مساء، وإن شئت قلت: ذات سكون، أبحرت فيه مع طفولةٍ مفعمة بالحب والنقاء، وحياةٍ ريفيةٍ صافية لا تعرف المبالغة والادعاء، وأمومةٍ فيَّاضة بالحب والعطف والحنان، وأُبوَّةِ جَدَّين لأمي من منهل الصدق والرفق والعطاء المتجدِّد ينهلان.

أبحرت في ذلك السكون الليلي المقمر بزورق الذكرى الذي يعرف كيف يتعامل مع خضمِّ البحر وأمواجه، وزبده وأثباجه، فكيف بتعامله مع سكونه وهدوئه، وصمته المهيب؛ أبحرت بزورق الذكرى، رفيقاي الوفيان في سكون ليلي الذكر والدعاء.

الذكر والدعاء؟

ومَنْ هذان الصديقان الكريمان والرفيقان الوفيان؟

سؤال مقبول، عن شيء غير مجهول، عن حبيبين إلى القلوب المتجهة بنبضها وحبها إلى الله اللطيف الخبير، الذي يعلم السرَّ وأخفى، الذي يرعى برحمته وفضله قلوب المتجهين إليه، المتوكلين عليه، الملقين بأنفسهم بين يديه.

الذكر والدعاء يحوِّلان ليلَ المسلم إلى ربيع، وصمتَه إلى أجمل صمتٍ متحدِّث بلسان السكون حديثاً لا يعرفه إلا المبتهلون.

أبحرت بزورق الذكرى، إلى ذلك المنزل الصغير الذي كان نبراساً للعطاء المتجدِّد، والبذل السخيِّ، والتضحية الصافية التي لا تعرف المنَّ والأذى.

ياله من منزلٍ صغير تحيط جدرانه الخارجية بأربع غرفٍ صغارٍ، وفناءٍ يشاركهنَّ في المساحة الصغيرة، ويخالفهنَّ في كونه مفتوحاً للفضاء الفسيح:، ومع ذلك فقد كان في نفوس تلك الأمِّ الرَّؤوم، وأطفالها «الأيتام» مثالاً للمنزل الفسيح الذي لا تحدُّه الحدود. القرية لا تعرف إلاَّ العمل الدؤوب، فهي في عملٍ متواصل حتى حينما تأوي

إلى فراشها غير الوثير في المساء، نعم هي تنام، ولكنه نوم المستعدٌ لمواصلة العمل قبل أن يسحب الظلام ذيول الهزيمة أمام مواكب الصَّباح.

أبحرت بزورق الذكرى، إلى ذلك الوادي الخَصيب «الشِّعْب» الذي كان ملتقى الحب والعطاء والجدِّ والغيث والتربة الخصبة، وماء البئر الصافي والأشجار والأزهار، والنسيم العليل والعصافير بألوانها وأنواعها المختلفة، وآلاف الكائنات الصغيرة التي لا تكاد تراها العين المجرَّدة، والسَّواني التي تنزح الماء، وتسبيح جدِّي لأمي ودعائه، وبعض ترانيمه التي يردِّدها حينما يستغرق في عمله المبارك، ونحن الصِّغار الذين يشعرون بسعادة غامرة في ذلك الوادي الخصيب.

أبحرت بزورق الذكرى، إلى بوَّابة ذلك المنزل الصغير وهي تنفرج عن وجهي طالبين صغيرين ينطلقان مع إشراقة الصباح إلى مدرسة القرية، يجوبان أزقتها المفعمة برائحة دخان مداخن البيوت التي تصحو قبل الفجر، وتبدأ رحلة العمل بعد صلاة الفجر حيث يكون كل شيء تراه العين مشرقاً جميلاً، وعن وجوه زهرات أربع يتجهن إلى مدرسة البنات الجديدة في القرية المجاورة، وعن وجه أمٍّ ترقب أفلاذ كبدها وهم ينطلقون إلى المدرسة، وفي عينيها تترقرق دموع فرحٍ بهم، وإشفاق عليهم، وفي قلبها شعور عميق من الحب والحنان والخوف والرجاء يصعب عليها أن تصفه وصفاً دقيقاً يعبر عن حقيقته ويقرِّب صورته.

يالها من ليلةٍ مفعَمةٍ بالذكريات!

أنا، وجنح الليل، وذكرى أمي الحبيبة «سعدية بنت محمد علي سحّاب الغامدي»، إنَّه اللقاء الروحي المتألق، في جنح ليلٍ يرسم بسكونه المهيب أجملَ لوحات ذكرى الحبيبة الغالية، بكل ما فيها من تقاسيم الحزن والألم وألوان اللَّوعة والشَّجا، وأطياف الفرح بذكراها، والحزن على فراقها، ولهفة الشوق الجارف إلى رؤية وجهها الحبيب، وسماع صوتها الحنون.

أنا، وجنح الليل، وذكرى الحبيبة، كنَّا نصنع من الإحساس، والسكون، والذكرى المتجدِّدة شيئاً يصعب وصفه على ريشةِ قلمٍ يتضاءَل أمام عظمة ذكرى أمي الحبيبة وهيبتها، وبهائها وجمالها، وما يدور في طيَّاتها من طواحين اللهفة والشَّجا والحنين.

هنا يتألَّق دور الرفيقين المخلصين، والصديقين الوفيَّين، ألا وهما «الذكر والدعاء».

ما أجملهما في سكون الليل، وما أقدرهما على إشاعة الهدوء في النفس، وإزاحة ثقل الهموم عن القلب الحزين.

«اللهم - يا حي يا قيوم، يا واحد يا أحد، يا فرد ياصمد - اغفر لأمي الغالية وارحمها، وأسكنها فسيح جناتك، وابعث إليها من نسائم رحمتك وجنتك ما يجعلها في نعيم إلى يوم لقائك، اللهم اجزها عنا خير الجزاء، اللهم اجعل قبرها روضةً من رياض الجنة، اللهم اجمعنا بها في جنَّات نعيمك - يا أرحم الراحمين - اللهم إنك تعلم أنها قد

كفلتنا أيتاماً صغاراً، وضمَّتْ علينا جناحي عطفها ورحمتها، وضحَّتْ من أجلنا بوقتها وراحتها، اللهم فاجزها عنا خير ما تجزي والدةً عن أولادها يا أرحم الراحمين.

اللهم لا تحرمها من أجر كل كلمة أو عمل صالح نعمله ويجد عندك قبولاً يا رب العالمين، واغفر اللهم لآباء وأمهات المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع الدعاء، آمين».

أمي الحبيبة رحلت عن الدنيا، كان رحيلاً قاسياً على النفس، ثقيلاً على القلب، كأنما هو خروج الروح من الجسد، ولكننا رضينا بقضاء الله وقدره، وآمنَّا به - عز وجل - ملكاً قادراً حيَّاً لا يموت، رضينا، ورجاؤنا فيه عظيم: فهو سبحانه الذي وسعت رحمته كلَّ شيء.

أنا، وجنح الليل، وذكرى الحبيبة، قصَّة من الحب والشوق والأمل والألم، والرجاء الذي تشرق شمسه في جنبات النفس وحنايا القلب، قصة ربما تستطيع قصائد هذا الديوان أن تحمل شيئاً من سماتها، وتروي بعض فصولها.

عبدالرحمن صالح العشماوي

يا دفق القلم الباكي

يا دفق القلم الباكي
سطّر بمداد دموعي..
حسرة قلبي الشاكي
أغرق صفحاتي بدموعك
لا تخشَ جفافاً
فدموعي أنهار تجري
أنهار ساخنة تجري
أنهار تتدفق من قلبي
تعبر صدري
تكشف أمري
يا دفق القلم المسكون بلوعة قلبي
سطِّر بمداد دموعي قصة حبي
اكتبني حرفاً مشبوباً بالألم القاسي
اكتبني وَجْداً حزناً، لوعة إحساس
اكتبني قافية
عطَّرها الألمُ وأشعلها

وأعاد صياغة وجداني فيها

وإلى الدنيا، كلِّ الدنيا أرسلها.

يادفق القلم الباكي

هل تعرف معنى الحزن..

إذا بلغ نهايته القصوى؟

هل تعرف معنى الحسرة..

حين تهز الأعماق تزلزلها؟

عفواً يادفق القلم الباكي:

فجميع سطوركَ منذ جرت بك فوق الأوراق يدي

وجميع الصور الباكية..

رَسَمْتَ ملامحها أنتَ عباراتٍ تبكي

تكشف عن آهاتٍ تحكي

وجميع كتاباتك في الأوراق المطويّة والمنشورة

تتضاءل يا قلمي..

حين تحاول أن تنقل من حزني لفراق حبيبة قلبي صورة.

رحلت يا قلمي أمي

يرحمها الله تعالى

ما عادت تمسح بأنامل كف أمومتها همِّي

ماعادت تغسل بالنظرات الحانية جراحي

تُذهب غمّي

ما عادت تمنحني فرصة تقبيل جبين العطفِ..

صباح مساء

ما عادت تمنحني فرصة تقبيل يديها..

تقبيل الشرفاء

رحلت يا قلمي أمي

هل تعرف معنى (رحلت أمي)؟!

هل تعلم أني أنزلت حبيبة قلبي في الحفرة بيدي؟

هل تعلم أني بيدي..

قد كوَّرت وسادة طينٍ مبلولة

ورفعت الرأس قليلاً..

ووضعت وسادة طينٍ لحبيبة قلبي؟!

هل تعرف أني قد أحكمت عليها إغلاق القبر؟

هل تعرف معنى هذا الأمر؟!

يا دفق القلم الباكي

سطِّر بمداد دموعي..

أغرب قصة حب

أعجب قصة شوق

انقلها للناس، جميع الناس

فأنا واريَتُ هنالك تحت الأرض..

حبيبة قلبي

وأنا وسَّدتُ الطين أنيسة قلبي

وأنا يا قلمي أشعر أن الحزن يلدِّعني

وأحسُّ بأنَّ براكين الألم تصدّعني

وأُحِسُّ بأنَّ رماح البُعد تصوِّبني..

يا دفق القلم الباكي..

لا تَجْرِفْ سَدَّ الصَّبر الشامخ في قلبي

إِنِّي آمَنْتُ بربي..

إِنِّي آمَنْتُ بربي

هي أمي

الرياض ١٤٢٦هـ

لا تقــولوا: بكيتَ أقــسى بكاءِ
فــبكاءُ المحبِّ رَمْــزُ الوفــاءِ

كــيف لا يذرف الدمــوعَ مــحبٌّ
ذاق مُـــرَّ الفــراق بعــد اللقــاءِ؟

هي أمِّي، في فَقْدِها فَقْدُ عُمْرٍ
وحــيــاةٍ من الرِّضــا والصَّــفــاءِ

هـي كنز الدُّعــاءِ، يا لَهْفَ نفــسي
وأســاها لفــقــد كَنْزِ الدُّعــاءِ

هـي نَبْعُ الحنانِ والعطف، مَنْ لي
بعــد أمي برشَــفْــةٍ وارتواءِ؟!

هي بَرْدُ الحنانِ في قــيظ حــزني
وهـي دِفْءُ الحنانِ وقتَ الشــتــاءِ

كم سـخــاءٍ في الناس يصــغــر لَمَّا
ترسم الأُمُّ لوحــةً للسَّــخــاءِ

لا تلومــــوا تـوجُّـــــعي وأنيـنـي
فلقـــد أشــعل اللَّهـــيبَ عنائـي

لا تلومـــوا بكاء عـــيني، فــهـــذا
عُـــشْـــرُ مــــا لا ترونه من بكائـي

صــرت كـالطفل حين فـارقتُ أُمِّي
تائهــاً مِـثْلَ ريشـــةٍ في الفـضـــاءِ

كلَّمـــا هبَّت الرِّياح، رَمَـــتْـــهـــا
في مَـــــهــــاوي تـوجُّسٍ وانطـواءِ

رجل شـــــامخ العـــــزيمة، لـكنْ
أين منــي عـــــزيمةُ الأقـــويـاءِ؟!

صـــرتُ من بعـدهـا كـســالكِ بِيْـدٍ
مُـوْغِـراً في الظهـيـرةِ الحـمــراءِ

يسـتـثـيـر السَّـرابُ فـيـه حنيناً
جــارفـــاً نـحـــوَ قَطْرةٍ من مـــاءِ

ويُريه الغُـــبـــار ليـــلاً بَهـيـمـــاً
في نهـــارٍ مـــعـــفَّـــر الأجـــواءِ

تـركـــتْـني كـــواقفٍ فـــوقَ تَلٍّ
جَـــفْنُه يشـــتكي من الأقـــذاءِ

جـهَّـزتْ لي أُمِّي سـقـائي، ولكنْ
حين غـابت عني فـقـدْتُ سـقـائي

يا أبا صـالحٍ، أخي وشـقـيـقي
يا رفـيـقي في شـدَّتي ورخـائي

يا شـقـيـقـاتِنَا، ويا كُلَّ قَلْبٍ
من قلوب الأحـفـادِ والأبناءِ

يـا أخـا أُمِّنـا ويا أخَـواتٍ
بالتَّـفـاني رفَـعْنَ مـعنى الإِخـاءِ

يا سَـديمٌ ويا شـذا وحـنينٌ
يـا أعـزَّ الأحـبَّـةِ الأوفـيـاءِ

يا زيادٌ ويا يَزيدُ ويا سـعـديَّـةَ
الخـيـر، يـا بلاسم دائـي

يا نسـيـمـاً يَهُبُّ مِنْ رَهَفِ الحبِّ
عليـلاً، يَفـيضُ بالأشـذاءِ

يـا أسـيلُ التي تُحـرِّك شَـجْـوي
حين تدعـو «بابا» وتجـري ورائـي

كنتِ يا طفلتي أنيـسـةَ أمي
أُمِّ روحي وفـرحـتي وهـنائي

كـان فـي حَبْـوِكِ الجـمـيلِ رضـاهـا
حــينـمــا تـعــبــثين بالأشـــيـــاءِ
ليــتــهــا أبصــرتْكِ تمشين مــشــيــاً
مِــثْلَ مَــشْي الحــمــامــة الورقــاءِ
ليــتــهــا يا أســيـلُ... لو أنَّ لَيْــتَــاً
أرجــعتْ مــيِّــتــاً إلى الأحـــيـــاءِ
يا صــدوراً تجــيش بالحــزن تشكو
مـــا شكونا من حـــرِّ نارِ الثَّـائي
ســافــر الليلُ بي بطيــئــاً ثقــيــلاً
باهتَ البـــدر خَـــافِتَ الجـــوزاءِ
يتـــــمطَّى بصُلْبــــــه ويريـنـي
كـيف تبـدو حـقـيـقـةُ الثَّـقَـلاءِ
وَجْـــهُ ظلمـــائه تجـــهَّم حـــتى
خـــاف قلبي تجـــهُّمَ الظلمــــاءِ
ســـافـــر الليل بي، فلَّمـــا طواني
في ظلام الدُّجَى وأشْجى مـسـائي

وبنى لي من الغـيـاهبِ سـجناً
زاد من وحـشـتي وطول شـقـائي
حـينمـا أسـرف الظلامُ، تجلَّى
من يقـيني باللهِ أسـمى ضـيـاءِ
شـمـعـةٌ بدَّدتْ ظلام الدَّياجي
وبإشـراقـهـا دفـعتُ بلائي
يا جـبـالَ الأسى تطامَنْتِ لمَّا
صـار قلبي في القـمَّـةِ الشـمَّـاءِ
إنْ تكنْ غـابتِ الحـبـيـبـةُ عنَّا
في حـيـاةٍ مـعـجـونةٍ بالفَناءِ
فلنا من رجـائنا في التَّـلاقي
عند ربِّ العـبـادِ خَـيْـرُ عـزاءِ

قراءة في كتاب الحنين

«وقفة أمام ذكرى أمي الحبيبة في منطقة الباحة»

باحــةَ الحُـبِّ والصِّـبـا والشَّـبــابِ
خـبِّــريني، مــا سِــرُّ هذا العَـذابِ؟

مـــا لعـــينيكِ تذرفـــان دمـــوعـــاً
كــدمــوعي، وتوقظان اكـتـئــابي؟!

أنـا ـ والله ـ قـــد كـتـــمتُ أنينـي
وعلى حـــســـرتي طويتُ ثيـــابـي

وتظـاهـرتُ بـالتـــــجلُّد حــــتـى
خِلْتُ أني سَلَبْتُ طَبْع الـهــضـــابِ

وتجَّـــملْتُ بـابتـــســـامـــة ثغـــري
في لقـــائي بالأهل والأصـــحـــابِ

في حنايا الفـؤادِ خـبَّـأْتُ حُــزني
وحـــبـــست الدمـــوعَ عن أهدابي

فلمــــاذا أرى مَـــلامحَ جـــرحي
نَقَلتْـــهـــا إليَّ خُـــضْـــرُ الرَّوابي؟

ولماذا أرى الجبالَ قِلاعاً
من أنيني مغمورةً بالضَّبابِ؟

مَنْ روى للجبال قِصَّةَ حُزني
وأنيني، ومَنْ روى للشِّعابِ؟!

باحةَ الحُبِّ، كم أرَحْتِ فؤادي
فلماذا جَنَحْتِ للإتعابِ؟!

كُنتِ لي مسرحاً لأُنسي وصَفْوي
كيف أصبحتِ مسرحاً لاغترابي؟!

كيف صارت فيكِ الرَّياحينُ تبدو
كسهامٍ تُصيبني وحِرابِ؟!

كل شيءٍ هنا تغيَّر حتى
أصبح السيفُ مُنْكِراً للجِرابِ

صرتُ في حَيْرةٍ من الأمر حتى
خِلْتُ أني أخوضُ وَهْمَ السَّرابِ

باحةَ الحُبِّ، ما نسيتُ جمالاً
وجلالاً ولا فقَدْتُ صوابي

غيرَ أني لاقيتُ فيكِ جراحي
واَجَهَتْني هنا بغيرِ حجابِ

لم أزلْ أذكـــر الأمـــومـــةَ نَهْـــراً
يمنح الأرض لَهْـفَــة الإخـصــابِ
يوم كــانت «عَـراءُ» تفـتح نحـوي
مـن مــعــاني ســعـــادتي كلَّ بابِ
بـين أُمِّي وبـينَ جَـــــــدَّيَّ كنَّـا
لا نـرى غـــيـــر أُلْفَــةٍ واقــتــرابِ
كــانت الدَّارُ خــيــمــةٌ طرَّزَتْهــا
يَدُ أُمِّي بـالـبِــشْـــر والتَّـــرْحَــابِ
زيَّنَتْــهــا أُمي الحــبـيــبــةُ حــتى
أصـــبــحتْ للحنان أغلى رِحَــابِ
كـانت الدَّارُ، ثم صــارتْ، فَــوَيْحي
من مــســاءٍ مُــجــرَّدٍ من شِــهــابِ
بين كـــانت وبـين صــــارتْ رأينـا
كـيف يكوي القلوبَ حَــرُّ المُصَــابِ
أصـــبـــحتْ دارُنـا كــتـــابَ حَنينٍ
آهِ ممَّـا حَــــوَتْ سطورُ الكتـــابِ

أين أُمِّي، يا قـــــريتي، لا أراهـا
حين آتي تَخُـــصُّني بالخطابِ؟!

أين أمِّي، يا بُؤْســـه من ســؤالٍ
أتحــاشى مــا بعــدَه من جــوابِ؟!

ودَّعَـــــتْنا أُمِّي، فلّله حــــزنٌ
جـارفٌ في الفـؤادِ، لولا احتسـابي

إنَّهـــا سُنَّـةُ الحــيــاةِ، وإلاَّ
لم أدَعْـهــا وحــيـدةً في التـرابِ

إنَّهـا الشـمس، لم يَزَلْ في ضلوعي
نورُها ســاطعــاً برغمِ الغـيــابِ

عامٌ مضى

الرياض ٢٠/١/١٤٢٧هـ

عـــامٌ مـــضى يا أُمَّنا الغـــاليَـــةْ

وأنـتِ عـن منـزلنـا نـائيَــــــــةْ

نـأيـتِ يـا أُمَّـــــــــاه نَـأْيـاً، بـه

دارتْ طواحين الأسى القـاسـيـةْ

عـــامٌ مـــضى، لم نَسْقِ أرواحَنـا

مِنْ نَبْع تلكَ البـسـمـةِ الصَّـافـيَـةْ

لــم نمـــســح الآلامَ فـــي ظـــلِّـه

بنظـراتِ المُقْـلةِ الحــــانيَـــــةْ

عـامٌ مـضى لم نَرْتشِفْ رَشْـفَـةً

واحـــدةً من روحكِ الغــاليَـــةْ

عـامٌ مـضى، والقـبـرُ مُـسْـتَـأمِنٌ

والبـيتُ في وحـشـتـهِ الثَّـاويَةْ

كلُّ القنـاديل التـي أُسْــــرِجَتْ

من بعـــد أُمي أصـــبـــحتْ ذَاويَةْ

حـــتى نجـــوم الليل أنكرتُهـــا
بالـرغم مـن أنـوارهـا الـزَّاهـيَـــــهْ
أروح، أغـــدو، ومـــعي حَـــسْـــرَةٌ
مـن بَعـــــدها رائـحـــــةٌ غـــاديَهْ
قـــريبـــةُ المَثْـــوَى، ولكنَّهـــا
بعـــيـدةٌ كـالنجـمـــةِ القـاصـيَـهْ
دانيـــــــةٌ، والشـــــوق نـارٌ، ولا
تُمكِنُ لُقـــيـــانا ولو ثانيَـــهْ
نـائيـــــــةٌ، يا ويحَ قـلبـي الـذي
مـــا زال يشكو لَوْعـــةُ كـــاويَهْ
عـــامٌ مـــضى ــ كـــلاَّ ــ ولَكنَّه
دَهْـرٌ تداعتْ فـــيــه آلامــيَـــهْ
كم ليـلـةٍ قـــــادمــــــةٍ بالأسـى
تَخَلَّفُ فـــيـــه الليلةَ الماضــيَـــهْ
كـــأنهـــا تبـــقى على حـــالهـــا
من دون فــجــرٍ، فــوقنا ســاجـيَـهْ

أســـهـــرني فـــيـــهـــا الأنينُ الذي

أشـــعلَ بالنيـــرانِ أعـــمـــاقـــيَـــهْ

يا حَـــسْـــرَةَ الدَّار التي أصـــبـــحتْ

من كلِّ آثار الـرِّضـــــا خـــــاويهْ

دارٌ تعـــــاوتْ بـين أرجـــــائهـــــا

رياحُ حـــزنٍ صَـــرصَـــرٍ عـــاتيَـــهْ

حـــصنَّهـــا بالذِّكـــر سكَّانُهـــا

فـقـــاومتْ ريح الأسى الســـافـــيَـــهْ

أوَّاه ـــ يا أُمَّـــــاه ـــ من لَوْعـــــةٍ

مـــا تـركتْ من مُـــهـــجـــتي زاويَهْ

كم حُـــرْقـــةٍ في القلب أطْفـــأْتُهـــا

بدعـــوةٍ صـــادقـــةٍ صـــافـــيَـــهْ

أرسلتُـــهـــا في الليل ممزوجـــةً

بأدمعٍ من مُـــقلتي البـــاكـــيَـــهْ

وجَّـــهـــتُـــهـــا للَّه في ليلةٍ

مـــحـــرومـــةٍ من بدرها شـــاتيَـــهْ

يا سـائلاً عني وعن حسـرتي

هلاَّ سـألْتَ الشـعـر والقـافـيَـهْ

أمَّــا أنـا فـــالله أدرى بمـا

أكـتم من أحـزانـيَ القـاسـيَـهْ

كم ضِـحكةٍ أرسلتُـهـا جـاهداً

تُخـفي شظايا لـوعـةٍ خـافـيَـهْ

كم حـسـرةٍ دارَيْتُـهـا، حـينمـا

غَـفَلْتُ عنهـا رجـعـتْ ثـانيَـهْ

يا خـالقَ الأكـوانِ، يـا من بـه

علَّقْتُ أحـلامي وآمـاليَـهْ

يا رَبِّ ضـاعِفْ أجْـرَ أُمِّي التي

كـانت مَـدَى العُـمْـر لنا راعـيَـهْ

كـانت على مـا كـانَ من حـالنا

دائبـةً من أجلنا سـاعـيَـهْ

يـا رَبِّ أسـكـنْ أُمَّـنـا جـنَّـةً

قطوفـهـا من كـفِّـهـا دانيَـهْ

في جَنَّةِ الفــردوس يا خـــالقي

هَيِّىء لهـــا منزلةً عـــاليَــــهْ

تفـــوز فـــيـــهـــا بالنعــيم الذي

تحــيــا به في عــيـشــةٍ راضــيَــهْ

أُمَّـــاه هذا جُـــهْــدُ قلبي الذي

يســتــمطر الـرحــمــةَ والعــافـيَــهْ

آمــنــتُ بـــالـلــهِ الــذي عــنــده

أســتــثــمِـرُ الصَّــبْـرَ على حــاليَــهْ

لــولا يـقـيـنٌ عـــــــــزَّ قـلـبـي بـه

فَـــازَ الأسى بالضَّــرْبةِ الـقــاضــيَــهْ

يا أُمَّ وجداني

الرياض-الواحة ١٤٢٦/٢/٩هـ

بعد نزولي في مطار الرياض... بعد أوَّل سفرٍ لي... بعد فراق والدتي الحبيبة ـ رحمها الله ـ لهذه الدنيا.

أُمَّاه، جئتُ إلى الرياض من السَّفَرْ
لم تسمعي ـ أُمَّاه ـ عن هذا الخَبَرْ
يا ويحَ قلبي، ما اتَّصلْتُ كعادتي
لأقول: يا أُمَّاه ابنُكِ قد حَضَرْ
لمَّا وصلتُ إلى المطار تشكَّلتْ
في ناظريَّ، بغير صورتها الصُّوَرْ
ورأيتُ أضواءَ الرِّياض، كأنَّها
طُلِيَتْ بلونٍ باهتٍ يُؤْذي النَّظَرْ
حتى شوارعها الفسيحة، خِلتُها
ضاقتْ أمامي فهي كالحةُ الحُفَرْ
حتى النَّخيلُ، رأتْه عيني واجماً
يبكي معي لمَّا رأى دمعي انهمَرْ

قــد كنتُ أُسْــرِعُ نحــو منزلنا لكي
ألقـاكِ، أُشْبِعُ منكِ سـمعي والبَصَـرْ
واليـومَ، أُبطـيءُ في مـسيـري واهناً
وجميـع ما أخفيتُ مِنْ حُزني ظَهَـرْ
كلُّ الضَّمـائر فـي حـديثِ مشـاعري
ظهـرتْ بهـا الأحـزانُ والفَـرَحُ استَتَـرْ
جـمـدَتْ خُطـاي فلستُ أنقُل خُطوةً
إلاَّ كـمـا نَقَلَ الجـريحُ خُطا الحَـذَرْ
ورفَـعْتُ طرفي للسـمــاءِ فـراعَني
منهـا خُـفـوت النَّجم فـيـهـا والقَـمَـرْ
أوَّاه ــ يا أُمَّـــاه ــ مِنْ لَفْح الأسـى
لمَّا تمكَّنَ من فــؤادي واســتَــعَــرْ
لـولا التــــــعلُّقُ بـالإلـهِ لنـالـنـي
مــا نال قلبَ «مُــتــمِّمٍ» لمَّا انفطَـرْ
وسَّــدتُكِ الطِّينَ المُبلَّلَ في الثَّـرى
مُـسـتـسلمـاً لقـضـاء ربي والقَـدَرْ
والـلـهِ، لـولا سُـنَّـةُ الـدَّفْـنِ الـتـي
كُـتِبَتْ، لكان الجَـفْنُ قَـبْـرَكِ والمَقَـرّ

يا أُمَّ وجــداني، وأُمَّ مــشـــاعــري
يا مَنْ بهـا مـعنى سـعـادتنا ازدَهَرْ
يا مَنْ غَـرَسْتِ لنا الأمـومـةَ دوحـةً
مـيـمـونـةَ الأغـصـانِ يانعـةَ الثَّمَـرْ
مــاذا أقــول عن الأُمــومـــةِ، إنَّهــا
شـلاَّلُ حبٍّ من مـشـاعـرك انحـدَرْ؟
شـــجـــرٌ وأزهـارٌ يُحــدِّثنا الشَّـــذا
عنها حديثَ العِطْر في الكون انتشرْ
إنْ قلتُ: إنَّ الفـــجـــر يشـــرب نورَه
من نَبْعِها الصافي، فقَولي مُعْتَبَـرْ
مـاذا يقـول عن الأُمـومـةِ شـاعـرٌ
لولا الأُمـومـةُ مـا ترنَّمَ واشـتَـهَـرْ؟!
ما زلتُ ـ يا أُمي ـ أراكِ هناكَ في
شُـرُفـاتِ بيتِ الحُبِّ والحُلُمِ الأغـرّ
مــــا زال في أرجــــاءِ منـزلنا لنا
من طيب ذكـركِ مـا يطيب به الأثَرْ
مــا زال فــيــه من الأُمــومـــةِ مَنْبَعٌ
ظلَّتْ به الأحـلامُ مـورقـةَ الشـجَـرْ

والله ــ يا أُمَّــــاه ــ لولا أنني

حَوْقَلْتُ واسترجعتُ لانقطع الوترْ

مــا دُمْتِ في كَنَفِ الإلهِ فــإنني

سأكون ممَّن في مصيبته صَبَرْ

فــالله أرحم بالفــتى مِنْ نفــســه

كم أجــزلَ المِنَحَ العِظامَ وكم غَفَرْ

لمَّا حــمــدتُ اللهَ حَــمْــدَ مُــوحِّــدٍ

سكن الفؤادُ بذكر ربِّي واصطبَرْ

يا قلبُ، صَبْرَك فالحياةُ كدفترٍ

عُمْرُ الخلائقِ فيه نَصٌّ مُخْتَصَرْ

ما هذه الدنيا سوى أرجوحةٍ

لا تستقرُّ، ولا يقِرُّ بها البَشَرْ

أوَّاهُ من هذا الفَراغ

الرياض-الإزدهار ١٤٢٦/٢/١هـ

دموع مسكوبة... على فراق والدتي الحبيبة ـ رحمها الله ـ

ترضى النفوس وتستطيب عذابَها

لَمَّا تزفُّ إلى الإلهِ ركابَها

أنا ما بكيت على الحبيبة يائساً

من رحمةٍ فتح المهيمن بابَها

لكنَّه ألمُ الفراق، ولوعةٌ

سلَّتْ عليَّ سيوفَها وحِرابَها

لَمَّا نعى الناعي حبيبةَ خاطري

ورأيت من شمس الحنانِ غيابَها

ورأيتُ "فَقْدَ الأمِّ" صار حقيقةً

ألْقَتْ عليَّ صخورَها وهضابَها

وعلمتُ أنَّ حبيبتي، وأنيستي

وأميرتي، قد أغمضتْ أهدابَها

ناديتُها، فتكسَّرَ الصوتُ الذي

نادى، ولم ترسلْ إليَّ خطابَها

لا تسـألوني عن حـبيـبـة خـاطري
فـهي التي نَسَجَ العَـفـافُ ثيـابَهـا
إنَّ الفـؤادَ يُحـبُّـهـا ويهـابُهـا
ولأنَّه عَـرَفَ الحـبـيـبـةَ هـابَهـا
كنَّا صـغـاراً حين فـارقَنا أبي
فـمضتْ تقـدِّم روحَـها وشـبابَهـا
نشـرتْ لنا ظلَّ الأُمـومـةِ وارفـاً
وإلى المشـاعـر طيَّـرت أسـرابَهـا
أُمِّي التي مـا أبصـرت عينُ المدى
إلاَّ جَـلالَ حـيـائهـا، وحـجـابَهـا
لَمَّا تقـول: «بُنـيَّ» أشـعـر أنَّهـا
تبني حُـصـونَ سـعـادتي وقِـبـابَهـا
رحلتْ عن الدنيـا رحـيلَ كـريمةٍ
رفـعتْ مـواقـفُـها العِظَامُ جنابَهـا
نقـصتْ مَـلامحُ فـرحـتي مِنْ بعـدها
مـهـمـا جَنَيْتُ من الحـيـاةِ رُضـابَهـا
مُـزِجَتْ حَـلاوةُ كلِّ حُلْوٍ بعـدهـا
بمـرارةٍ، قـلبـي تـذوَّقَ صـابَهـا

مَنْ لي بتقبيل الجبينِ مُصبِّحاً
ومُمسِّياً، ومُمسِّحاً أعتابَها؟
مَنْ لي بحسن الرأي منها، حينما
تهدي إليَّ من الأمور لُبابَها؟
مَنْ لي بصدق الحَدْسِ منها حينما
تُلقي الخطوبُ على العيونِ ضَبابَها؟
ما زلتُ أذكر قولَها لمَّا رأتْ
بعضَ الذئابِ، وأبصرتْ أنيابَها:
أبُنيَّ كُنْ باللهِ، لا بعبيده
لا تَخْشَ قُطْعانَ الذئابِ وغابَها
كم حاسدٍ لمَّا تقاصر عزمُه
عن نَيْلِ منزلةِ الأكارم، عابَها
مَنْ ذا سأُسمعُه القصائدَ بعدها
ومَنْ الذي سيُنيلني إعجابَها؟
مَنْ ذا أُبشِّر حين أفرح، كي أرى
في وجهها فرحاً يُطيِّرُ صوابَها؟
مَنْ لي بهاتفها الحبيب، يُجيبني
«أهلاً حبيبي» يا فَدَيْتُ جوابَها؟

أُمَّــاه صــيَّــرني فــراقُكِ حــائراً
في بيــدِ آلامٍ تَسُلُّ سَــرابَهــا
مـا زلتُ أشـعـر بالضـيـاعِ كسـائرٍ
في مَـهْـمَـهٍ تَسـفي الـرياحُ تُرابَهـا
أوّاه من هـذا الفــراغ وجــدتُه
في نفسيَ الحَرَّى، يَزيد عَـذابَهـا
جُـدرانُ مكتـبـتي، وكلُّ رُفـوفِـهـا
تبكي، وتُشـعِلُ بالأنين كـتـابَهـا
وجـمـيـعُ أوراقي وكلُّ دفـاتري
وقـصـائدي، لَفْحُ الأنينِ أصـابَهـا
وحـديقـةُ البيتِ الصـغيـرةُ، خِلْتُهـا
قـد أَذْبَلَتْ من حـزنهـا أعـشـابَهـا
أُمَّــاه يا أُمَّــاه، حُــبُّكِ في دمي
عِطْرٌ، وغـاليـةٌ حَـمَلْتُ جِـرابَهـا
في البيتِ ـ يا أُمَّاه ـ منكِ حقيقةٌ
كُـبْـرَى، عـشـقتُ ذَهـابَهـا وإِيابَهـا
أبصـرتُ غـرفَـتَكِ الحـبيـبـةَ أَوْغَلَتْ
في الصـمتِ بعـدَك، أغلقَتْ أبوابَهـا

لو أنَّهـا تُفـضي بما في صــدرها
نطقتْ وأنْطقَ قــولُهــا دُولابَهــا
أنَّى اتَّجَـهْتُ رأيتُ وجـهَك ضـاحكاً
ورأيتُ منـكِ يَدَ الرِّضـا وخـضـابَهـا
حُلُمٌ أعـيشُ به الصـفـاءَ سَـوَيْعَـةً
فـإذا صـحتْ نفسـي شكتْ أوْصَابَها
وتسـاءلتْ نفـسـي سـؤالَ توجُّعٍ
لمَّا رأتْ سَـهْمَ الأنينِ أصـابَهـا :
مـا لي أرى الظلمـاءَ بعـدكِ خَبّأتْ
عن ناظريَّ هلالَهـا وشــهـابَهـا
هي لوعـةُ الحـرمـانِ بعـدَكِ أشـعلتْ
قلبي، فـأكـملت الهـمـومُ نصـابَهـا
تشكو النفــوسُ من العنـاءِ، وإنمَّا
أقـسـى العَناءِ فـراقُـهـا أحـبـابَهـا
أُمَّــاه، حين رأيتُ حـزنـي جـارفـاً
يطوي جـبـالَ مـشـاعري وشعـابَهـا
أسـرجتُ في قلبي خـيـولَ يقـينهِ
وركـبتُ في دَرْبِ اليـقينِ عِـرابَهـا

ذكَّرْتُ نفسي بالرسولِ وقد شكتْ
بوفاته كلُّ القلوبِ مُصابَها
خَطْبٌ جليلٌ هزَّ أفئدةَ الورى
هَزّاً، وأشعل حُزْنَها وأذابَها
بردَتْ بذكراها الحبيبةِ لوعتي
وهمومُ نفسي، واحتَسَبْتُ عذابَها
يا ربّ، هيِّئ للحبيبةِ منزلاً
في الخُلْدِ، أجزلْ يا عظيمُ ثوابَها

وقفة أمام حبيبتي

الرياض ١٤٢٥/١٢/٥هـ

أدْنى الأمـــور إليكَ أبْعَـــدُها
لَمَّا يعـــزُّ عليك مَـــقْـــصِـــدُها
وحـــيـــاتُك الدنيـــا، لهـــا صُـــوَرٌ
شَـــتَّى، عـــيــونُ الرِّيح تَرْصُـــدُها
دَعْ عنـكَ أحـــــلامـــــاً تطـرِّزُها
وبـديعَ أشـــــعـــــارٍ تُـردِّدها
فـــأنينُ قلبكَ صـــار قـــافـــيـــةً
مـــشـــبـــوبةً، يُبكيكَ جـــيِّـــدُها
لا تعـجـبـوا إنْ أصـبـحتْ لغـتي
ناراً، فـــإنَّ الحُـــزْنَ يُوقـــدُها
نـارٌ مـن الآلامِ لافـــــحـــــةٌ
يا ليت شعـري، مَنْ سيُـخْـمِـدُها؟!
أغـمـدتُ من حـزني صَـوارِمَـه
لـكـنَّ آلامـي تُـجـــــــــرِّدُها

لمَّا رأيتُ حـــبـــيـــبـــتي وهَنَتْ
ورأيت ثِقْلَ الدَّاءِ يُجْـــهِـــدُها
ورأيت أجـــهـــزةً تلاحـــقني
أرقـــامُـــهـــا، وأنا أُعـــدِّدها
كم كنتُ أرجـــو أنْ أُحـــرِّفَـــهـــا
وعلى مـــوافـــقـــتي أُعـــوِّدُها
يلوي الطبـــيبُ لســـانَه حَـــذِراً
ويـقـــــول أقـــــوالاً أُفـنِّـدهـا
كلمـــاتُه برزتْ مـــعـــالُمهـــا
وأنـا مـن المـعـنـى أُجــــــرِّدُهـا
فـي لحظـةٍ ســـوداءَ قـــاتمـةٍ
كـانت سـيـاطُ الخـوفِ تَجْلِدُها
كـــــان الأنـينُ لَظـىً يُلَـذِّعنـي
واشـــتـــدَّ في نفـــسي تَنهُّـــدُها
أحْـــسَـــسْـتُ أنَّ الأرض دائـرةٌ
بيْ دورةً مـــا كنتُ أعْـــهَـــدُها
حـــتى إذا حَـــوْقَلْتُ مـــحـــتـــســـبـــاً
وســـرى إلى نفـــسي تجلُّدُها

وجَّـــهْتُ قـــولي للطبـــيب وفي
أعــــمـــاقِ قلبي مـــا يُبـــرِّدُها

قُلْ يا طبـــيبُ فـــإنَّ لي ثقـــةً
باللهِ في نفـــــسي أُجـــــدِّدُها

قـــــدِّمْ دواءَكَ، إنَّه سَـــــبَبٌ
ولقـــدرة الرحـــمنِ مـــوعـــدُها

قل مـــا تشـــاء فـــإنَّ لي شَـــفَـــةٌ
تـدعـــو، وربُّ الكونِ يُرشـــــدها

أتلو من القـــرآنِ مـــا انصـــدعتْ
عنه الجــــبــــالُ ولانَ أصْـلَدُها

نفـــسي تلوذ بذي الجـــلالِ، ومَنْ
غـــيرُ المهـــيمنِ سوف يُنْجِـدُها؟

أســبــابُنا في الأرضِ مــا وُجِـدَتْ
إلا لأنَّ اللـهَ مُـــــــوْجِـــــــدُها

كـم مـــنـــزلٍ فـــي الأرضِ نَـنْـــزِلُـه
كم قـــمَّـــةٍ في الأرض نَصْـــعَـــدُها

نســـعى إلى غـــاياتِ أنْفُـــسِنا
لم نَـدْرِ مـــــا يأتي به غَــــــدُها

هـي يا طبـيـبُ حـبـيـبـتي، وأنـا

بالله لا بالـنـاسِ أعـــضِـــدُها

أُمِّي الحـبـيـبـةُ، كلٌّ قـافـيـةٍ

في مـدحـهـا، الإِحـسـاسُ يُنْشِـدُها

هي مَنْ تصـوغ حـروفَ قـافـيـتي

وبقلبـــهـــا الحـــاني تُنضِّـــدُها

هـي مَنْ تُعـــيـــد إليَّ ذاكـــرتي

وبحـــبِّـــهـــا الصَّـــافي تُجـددِّها

في راحـــتـــيـــهـــا النَّبْعُ أنْهَلني

كـــأسَ الحنانِ وطاب رافـــدُها

مـــهـــمـــا نـأتْ عنِّي وإن رحلتْ

سـيظلُّ إِحـســاسي يُمـجِّـدُها

أُمِّي الحـبـيـبـةُ طاب مـسكنُها

ومَـغـيـبُـهـا عني ومَـشْـهَـدُها

أُمٌّ مـــبـــاركـــةٌ، رأيتُ بهـــا

ألَقَ الحـيـاةِ، وعَـزَّ مَـحْـتِـدُها

كم ليلةٍ، مـــا كـــان يُوقظني

في جُنْحِـــهـــا إلاَّ تَشَـــهُّـــدُها

يســـتـــأنسُ الليلُ الطويلُ بهـــا
لَمَّا يـزيِّنُـه تَهَـــــــجُّــــــدُهـا

منذُ اســـتـــهلَّ وليـــدُها وبكى
حَـــــدَبَتْ عليـــــه، وباركتْ يَدُها

باتتْ تُهَـــدْهِدُه، فـــإنْ رقـــدتْ
عـــيناه، طاب هناكَ مَـــرْقَـــدُها

تبنـي له في صـــــدرها مُـــدُناً
من حـبِّـهـا، مـا خـابَ قـاصـدُها

في صـوتها العَذْب الجميلِ صَدَىً
لأمــــومــــةٍ مـــا جفَّ مـــوردُها

ســـأظلُّ أرضى حين يُســـعـــدني
مـا كـان يُرضـيـهـا ويُسْـعِـدُها

أبنـي صـــروحـــاً للدعـــاءِ على
قِـــمَمٍ من التـــقـــوى أُشـــيِّـــدُها

«يا ربِّ» مـــا أحلى انطلاقـــتَـهـــا
في ليلةٍ، حُـــزني يُســـهِّـــدها

«يا ربِّ»، لما قلتُـــهـــا انكشـــفتْ
حُـــجُبُ الأسى وابيضَّ أسْـــوَدُها

وتهـــاوت الأحـــزانُ صـــاغـــرةً

وانفكَّ عن قلبي مُـــعَـــقَّـــدُها

حـتى سـمـعتُ لسـانَ قـافـيـتي

يشـــدو بحكمـــتـــه، يردِّدها:

أشـقى النفـوسِ أشـدُّها جَـزَعـاً

وأشـدُّها في الصَّـبْـرِ أسْـعَـدُها

قراءة في كتاب الحنينِ

الباحة، فندق قصر الباحة
١٤٢٧/٩/١٠هـ

«وقفة أمام ذكرى أمي الحبيبة في منطقة الباحة»

باحــةَ الحبِّ والصِّبـا والشَّـبـابِ
خـبِّــريني، مــا سِـرُّ هذا العَـذابِ؟

مـــا لعـــينيكِ تذرفـــان دمـــوعـــاً
كــدمــوعي، وتوقظان اكــتــئــابي؟!

أنا – والله – قـــد كـــتـــمتُ أنيني
وعلى حـــســـرتي طويتُ ثيـــابي

وتظـاهـرتُ بـالتـــجلُّد حـــتـى
خِلْتُ أني سَلَبْتُ طَبْع الهـضـــابِ

وتجـــمَّلْتُ بابتـــســامـــة ثغـــري
فـي لقـــائي بالأهل والأصـــحـــابِ

في حنايا الفـؤادِ خـبَّـأت حـزني
وحـــبـــست الدمـــوعَ عن أهدابي

فلمـــاذا أرى مَـــلامحَ جـــرحي
نَقَلَتْـهـا إليَّ خُـضْـرُ الرَّوابي؟!
ولماذا أرى الجـــبـــالَ قِـــلاعـــاً
من أنيني مـغـمـورةً بالضَّـبـاب؟!
مَنْ روى للجـبـال قِـصَّـةَ حُـزني
وأنيني، ومَنْ روى للشِّـعـابِ؟!
باحــةَ الحُبِّ، كم أرَحْتِ فـؤادي
فلمــاذا جَنَحْتِ للإتعـــابِ؟!
كُنتِ لي مسـرحاً لأُنسي وصَفْوي
كيف أصبحتِ مسرحاً لاغترابي؟!
كيف صـارت فيكِ الرَّياحينُ تبدو
كـسـهـامٍ تُصـيـبني وحِـرابِ؟!
كل شيءٍ هنا تغـــيَّـــر حـــتى
أصـبـح السـيفُ مُنْكِراً لِلجـرابِ
صـرتُ في حَيْرةٍ من الأمـر حـتى
خِلْتُ أني أخـوضُ وَهْمَ السَّـرابِ

باحـةَ الحـبِّ، مـا نسـيتُ جـمـالاً

وجـــلالاً ولا فـــقـــدْتُ صـــوابي

غـيـرَ أني لاقـيتُ فـيكِ جـراحي

واجَـهَـتْني هنا بغـيـرِ حـجـابِ

لم أزلْ أذكـــر الأمـــومـــةَ نَهْـــراً

يمنح الأرض لَهْـفَـة الإخـصـابِ

يوم كـانت «عَـراءُ» تفـتح نحـوي

من مـعـــاني ســعـــادتي كلَّ بابِ

بـين أُمِّـي وبـينَ جَـــــــدِّيَّ كنَّـا

لا نرى غـيـــر أُلْفَـــةٍ واقـــتـــرابِ

كـــانت الدَّارُ خـــيـــمـــةً طرَّزَتْهـــا

يَدُ أُمِّي بالبِـــشْـــر والتَّـــرْحَـــابِ

زيَّنَتْـهـا أمي الحـبـيـبـةُ حـتى

أصـــبــحتْ للحنان أغلى رِحَـــابِ

كـانت الدَّارُ، ثم صـارتْ، فَـوَيْحي

من مـســاءٍ مـجـرَّدٍ من شِـهـابِ

بين كـــانت وبـين صـــارتْ رأينـا

كـيف يكوي القلوبَ حَــرُّ المُصَـابِ

أصــبــحتْ دارُنـا كــتــابَ حَنينٍ

آهِ ممَّـا حَـــوَتْ سطورُ الكتـــابِ

أين أمِّـي، يـا قــــريتي، لا أراهـا

حين آتـي تـخــصُّني بـالخـطابِ؟!

أين أمِّي، يا بُؤسَــه من ســؤالٍ

أتحــاشى مــا بعــدَه من جــوابِ؟!

ودَّعَـــتْنـا أمِّي، فـللّه حـــزنٌ

جـارفٌ في الفـؤادِ، لولا احـتسـابي

إنَّهــــا سُنَّـةُ الحـــيــــاةِ، وإلاَّ

لم أدَعْــهــا وحــيــدةً في التــرابِ

إنَّهـا الشـمس، لم يَزَلْ في ضلوعي

نـورُها ســاطعــاً بـرغمِ الغــيــابِ

الفهرس

وسادة من طين	٥
أنا وجنح الليل وذكرى الحبيبة	٧
يا دفق القلم	١٢
هي أمي	١٦
قراءة في كتاب الحنين	٢١
عام مضى	٢٥
يا أُمَّ وجداني	٣٠
أوَّاهُ من هذا الفَراغ	٣٤
وقفة أمام حبيبتي	٤٠
قراءة في كتاب الحنينِ	٤٦